حرية القيامة

نير الصليب وحرية القيامة

حولت قيامة السيد المسيح صلبه وموته من تاريخٍ مؤلمٍ إلى عيدٍ غير تاريخ البشرية ومفاهيمها وتطلعاتها.

وجدت في بعض أيقونات الصلبوت القبطية القديمة حرف s، وهو الحرف الأول لكلمة "غلبة" بالقبطية. فالمصلوب هو واهب الغلبة والنصرة، حتى على الموت.

ويصور السيد المسيح على الصليب بعينين مفتوحتين، لأنه حتى في موته بالجسد كان بلاهوته يحتضن العالم كله برعايته الإلهية وعنايته الفائقة؛ ولم يقدر الموت أن يقهره.

كشفت القيامة سر الصليب، لا في مفاهيم عقلانية فلسفية، وإنما في الواقع العملي الحي، فصار نير الصليب بالقيامة عذبا. يقبل المؤمن الآلام ببهجة قلب، بكونها عطية إلهية، خلالها يشارك المخلص صليبه، لكي يتعرف على قوة قيامته (فى 3: 10).

الجمعة العظيمة وحرية القيامة

مع ما تحمله ألحان الجمعة العظيمة من نغمٍ حزينٍ، لكنها تبعث في النفس تعزيات، وتدخل بها وسط أحداث الآلام إلى سر قوة المصلوب. فالشعب كله بين الحين والآخر يمجد ذاك الذي أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة.

العبادة طوال هذا اليوم كله هي مجدلة لذاك القوي الذي دخل إلى آلامنا، بل وحتى إلى قبورنا، لكي يحررنا من الخوف من الألم أو من الموت!

في سنة 1972 ذهب الأقباط إلى راعى الكنيسة التي يستأجرونها في Queens بنيويورك يطلبون منه أن يستخدموا المبنى من الجمعة صباحا حتى السبت صباحا. دهش راعي الكنيسة، قائلاً لهم: "هل يمكن أن يوجد شعب في العالم يصلى كل هذه الفترة من 7 صباح الجمعة حتى السادسة مساء ومن 12 ليلاً حتى السادسة صباح السبت؟! فأكدوا له أن هذا ما يحدث فعلاً. استأذنهم أن يحضر معهم يوم الجمعة العظيمة، وكان يود بدافع حب الاستطلاع أن يحضر لمدة ساعة تقريبا ليرى بعينيه ما يحدث. وبالفعل حضر، ودهش إذ وجد الشعب بأطفالهم حاضرين ومشتركين في التسابيح. اهتزت نفسه في داخله، ولم يقدر أن يترك الموقع حتى نهاية الصلاة. وكان تعليقه: "لقد عرفت عمليا لماذا يشترك حتى الأطفال في هذه العبادة الممتعة بفرح!"

بالقيامة نتطلع طوال الجمعة العظيمة، بل كل أيام حياتنا إلى الصليب كشجرة الحياة المغروسة في فردوس الله. اختطف اللص اليمين ثمرها وهو مربوط بكليته على خشبه صليبه، فتغيرت نظرته ومفاهيمه. بعدما كان يعير الرب صار مؤمنًا بملكوته. آمن بإمكانية المصلوب أن يحمله من الصليب إلى ملكوته السماوي! وما حدث مع اللص إنما تمتع به المؤمنون بالمخلص عبر القرون كلها، إذ يرون في الصليب عرشًا وخلاصا!

سبت الفرح وحرية القيامة

ينتهي طقس الجمعة العظيمة الذي يسوده نغمة الحزن الباعث على التعزيات الإلهية ليبدأ طقس "سبت الفرح"، وهو امتداد طبيعي للجمعة العظيمة. فإننا إذ نذكر موت السيد المسيح ودفنه نراه ينزل إلى الجحيم ليلتقي مع كل الذين ماتوا على الرجاء. كم كانت فرحة آدم وحواء، وإبراهيم صاحب العهد وسارة، ويعقوب وبنيه، وداود النبي وغيره من الأنبياء. فقد انكشفت أمامهم بالأكثر نبواتهم، ورأوا ذاك الذي يدعى "مشتهى الأمم". يرونه قادما ليحطم بصليبه متاريس الهاوية، ويحملهم كغنائم مقدسة على كتفيه ويدخل بهم في الأبواب الدهرية المرتفعة!

ترتفع أنظارنا من الأحداث الظاهرة: القبض على السيد المسيح، ومحاكمته، والسخرية به وجلده وصلبه ودفنه إلى ما هو غير منظور: جحيم ينهار، مؤمنون يلتقون بالمخلص، أبواب دهرية تنفتح، وفردوس يعاد!

يدعى هذا الطقس "سبت النور" *Bright Saturday*، ففيه يشرق شمس البر على الراقدين على الرجاء، فيصيرون كواكب منيرة في الفردوس، يحملون بهاءه فيهم! هذا ما يفرح قلب الكنيسة المجاهدة على الأرض، ويملأها رجاء، فتترقب بفرح دورها لتنضم مع مؤمني العهد القديم ككنيسة واحدة، تمتد من آدم وحواء إلى آخر الدهور!

يتغنى المؤمنون في سبت الفرح بكل التسابيح الواردة في العهدين القديم والجديد التي نطق بها الرجال والنساء، وكأنهم يشتركون معهم في موكب التهليل بقيامة الرب كمنطلق لتمتع الكل بمجد القيامة والدخول إلى الأبدية.

يدعى "سبت الإعلان الإلهي أو أبوغلامسيس"، ففيه يقرأ سفر الرؤيا (أبوغلامسيس)، إذ تشعر الكنيسة، وقد تمتعت بقوة الصليب، وأدركت فاعليته، أنها تتمتع مع القديس يوحنا الحبيب برؤياه أو بيوم الرب (رؤ 1: 10)، تنظر "وإذا باب مفتوح في السماء" (رؤ 4: 1). تترنم بسفر الرؤيا لكي تسمع صوت عريسها السماوي يؤكد سرعة مجيئه: فتقول: "تعال أيها الرب يسوع" (رؤ 22: 20).

اذكر أن شابا ليست له معرفة بالمسيحية لا يحمل منها إلا الاسم، جاء إلى لوس أنجيلوس، وقد شعر بأن الله سمح له بالهجرة ليتعرف عليه في وسط غربته. لأول مرة في حياته يشترك في أسبوع الآلام. وإذ أراد الحضور إلى الكنيسة ليشترك في سبت الفرح وكان الوقت منتصف الليل، وقف في الطريق في شارع Vermont وسأل أمريكيا أن كان يأخذه معه ناحية شارع Robertson فأجابه انه سيذهب معه فقط إلى شارع .Western. في الطريق سأله الأمريكي: "أين أنت ذاهب؟" أجابه القبطي: "الكنيسة!" سخر به الأمريكي قائلاً: هل أنت مجنون؟! العاك ذاهب إلى Bob لتسكر؟!" أجابه القبطي: "لا بل إلى الكنيسة!")... وفي اختصار ذهب به إلى شارع Robertson ثم سأله عن اتجاه الكنيسة. وبالفعل أنزله أمامها بعد أن سأله إن كان يمكنه أن يدخل معه. فوجئنا بهما يدخلان معا. ذُهل الأمريكي لما شاهد الكنيسة، وقد كادت أن تمتلئ بالمصلين والكل يسبح معا بفرحٍ كما في السماء. أبواب الهيكل مفتوحة، والشموع السبعة موقدة، والجو العام كله مبهج. بكى الأمريكي، وسأل القبطي إن كان يمكنه أن يزوره ليتحدث عن السيد المسيح.

ما أروع هذه الليلة التي تتحول إلى نهار مشرق في القلب، ليختبر المؤمن حرية القيامة التي حطمت متاريس الجحيم!

القيامة وعبودية الخوف من الموت!

حطم السيد المسيح بقيامته سلطان الموت، وحررنا من عبودية الخوف منه. فإننا نعلم أن كثيرين ماتوا بسبب خوفهم من الموت. فليس شيء أعنف من عبودية التفكير في الموت. متى سيطر على إنسان حطم نفسيته، وأفقده حيويته، وأسرع به إلى نهاية قاتمة.

قيامة السيد المسيح لم تنزع عنا الخوف من الموت فحسب، وإنما ألهبت قلوبنا إلى اشتهائه، فنقول مع الرسول بولس" "لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح؛ ذاك افضل جدا" (فى 1: 23).

يقول **القديس مار افرآم السرياني** عن القائم من الأموات:

(انه الطعام الذي أكل آكله!)

(هذا هو ابن النجار الذي صنع صليبه بمهارة، كقنطرة فوق الجحيم، يعبرون عليه ليدخلوا مسكن الحياة!... المجد لك يا من أقمت صليبك جسرا فوق الموت، تعبر عليه النفوس من مسكن الموت إلى مسكن الحياة.)

كما يقول **القديس أثناسيوس الرسولي**:

[لأنه قد تحرر العالم بدم المخلص، وبالموت داس الموت، ممهدا طريق الأمجاد السماوية بغير عقبات أو حواجز لهؤلاء الذين ينمون]

[فلنرنم الآن بترنيمة العيد ناطقين بتسبحة النصرة... قائلين: "أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر" (خر 15: 1)]

المسيح القائم عيدنا الدائم

تعلن قيامة المسيح عن حضوره الدائم في حياة الكنيسة، كما في قلب المؤمن. لهذا يؤكد البابا أثناسيوس في إحدى رسائله الفصيحة (الخاصة بعيد القيامة) أن السيد المسيح هو نفسه عيدنا الحقيقي. نقتنيه فنقتنى الفرح الدائم.

قيامته أعلنت صدق وعده الإلهي: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت 28: 20).

مسيحنا القائم من الأموات، والحال في وسط كنيسته يحول حياتنا الحاضرة إلى عيدٍ هو عربون للعيد السماوي. وكما يقول **القديس أثناسيوس**: [يلزمنا أن نأتي إلى العيد بغيرة وسرور، حتى إذ نبدأ هنا بالفرح تشتاق نفوسنا إلى العيد السماوي. إن عيدنا هنا بنشاط، فإننا بلا شك نتقبل الفرح الكامل الذي في السماء.] [ليتنا لا نعيد العيد بطريقة أرضية، بل كمن يحفظ عيدا في السماء مع الملائكة... لنفرح لا في أنفسنا بل في الرب، فنكون مع القديسين.]

حررني... أعبر بي إلى سماواتك

- **حررني أيها القائم من الأموات،**
  بالفصح عبرت بشعبك من عبودية فرعون إلى أرض الموعد،
  بك أيها الفصح الإلهي نعبر إلى حضن أبيك،
  ونوجد معك إلى الأبد في سماواتك!
- **قيامتك كشفت لي عن قوة صليبك،**
  أدركت انك بالموت دست الموت،
  سلمت نفسك للموت كي تحملني إلى ملكوته الأبدي!
- **أشرقت يا شمس البر على الذين في الجحيم،**
  حولتهم إلى كواكب منيرة،
  وحملتهم كغنائمٍ في فردوسك،
  لتشرق يا رب في قلوبنا،
  ولتخرج من قبورنا،
  وتحول حياتنا إلى نهارٍ بلا ليل،
  فنكون مع كل قديسيك إلى الأبد!
- **صرت لنا عيدا،**
  قيامتك حطمت كل يأس وقنوط،
  وحولت حياتنا إلى تسبحة دائمة،
  وإلى سماء متهللة بلا انقطاع!

القمص تادرس يعقوب ملطي

من يقدر أن يخرجني من قبري؟

✞دعوتني على لسان حزقيال النبي:
أخرجوا من قبوركم يا شعبي؟
كيف يمكنني الخروج من قبري؟
من يهبني الحياة فأقوم؟
من يفك رباطاتي؟
من يفتح لي أبواب قبري؟

✞أنت وحدك لك سلطان أن تضع نفسك،
ولك سلطان أن تأخذها!
سلمت جسدك إلى الموت، لكن لم يكن ممكنًا أن يمسك به.
قمت يا مخلصي بالجبروت!

✞لأتحد بك فأقوم معك، وتنحل كل قيادات نفسي التي قيدت حركتي.
تنفتح أمامي أبواب قبري، فأنطلق بك هاربا من ظلمته.

✞قلبي قد صار فاسدا ومملوء ظلاما،
أنت تحول القبور إلى مقادس، وتخرج من الظلمة نورا.
قل كلمة فتتغير طبيعتي من الفساد إلى عدم الفساد،
من الهوان إلى شركة المجد معك، ومن الضعف إلى خبرة قوتك.

✞صرت سجينًا للأنا ego،
صرت ميتًا كما في قبره.
لأصلب معك، فأحيا بك،
أخرج من قبري، من أنانيتي،
فأحمل حبك لكل البشرية.
لتقم نفسي معك وتتسع لتحمل كل إنسانٍ فيها.
لأتمتع بقبرك الفارغ!

✞زيارات القبور محطمة للنفوس،
بل وكانت دنسة في نظر اليهود،
أما زيارة قبرك فتشع في نورا،
تبعث في روح الرجاء يا غالب الموت،
تقدس نفسي يا واهب القداسة!

✞أدخل مع تلميذك يوحنا وبطرس،
فأجده قبرا فارغًا يا مالئ السماء والأرض!
أشاهد ملائكتك تعلن عن قيامتك!
مع كل زيارة تفرح نفسي بك، تشتهي اللقاء معك!

✞خرجت بسلطانك من القبر،
لكي تعود فتأتي إلى على السحاب،
تحملني معك إلى حضن أبيك!
متى تأتي فقد طال انتظاري!
بحبرك (آثار جراحاتك) تشفيني!

✞قمت يا مخلصي تحمل آثار جراحاتك في جسدك!
إني أعلم إني أقوم بك،
تنزع عني وعن كل اخوتي كل عيبٍ في جسدي.
سنحمل أجسادا روحية بلا جراحات.
أما أنت يا مخلصي فجراحتك ليس عيبا!

✞جراحاتك تكشف لنا عن سر جمالك وفيض حبك.
جراحات يا أيها القائم من الأموات هي سر شفائي.
أراها حتى في المجد فأمجدك.
أتأملها حتى في السماء، فيهتز كل كياني فرحا!

✞من الذي جرحك أيها الحبيب؟
هل هي سهام خطاياي التي حملتها عني؟
أم هي سهام حبك لي؟
أنت هو السهم الإلهي...
لتصوب إلى أعماقي فأصرخ:
إني مجروحا حبا!

✞✞✞

من يدحرج لي الحجر؟!

✞مع كل صباح جديد نفسي تصرخ:
من يدحرج لي الحجر؟
فإن فمي الداخلي يود أن يترنم بنشيد القيامة المبهج!
لترسل لي ملائكتك تخرج لي حجر قبري؟
لكن أنت وحدك تهبني القيامة!
خطيتي تقتلني كل يوم، قيامتك ترد لي الحياة!